مقدّمة:

نحاول في هذه المحاضرة التعرّف على واقع ترجمة المصطلح السيميائي إلى العربية، وذلك من خلال تحديد العلاقة المظهرية والدلالية بين مصطلحي **semiotics** و **semiology** وبين ما يقابلهما من مصطلحات في اللغة العربية.

ويرجع اختيار هذين المصطلحين إلى سببين أساسيين هما:

1 ـ كونهما يمثلان **مصطلحي العلم** الذي يدرس أنظمة الأدلة، ومن ثمّ يمكن عدّهما بمثابة نواة للمنظومة الاصطلاحية لهذا العلم، في حين تشكل المصطلحات الأخرى عناصر تدور في فلكها.

ب ـ عدم ثبات الفكر اللساني الغربي على مصطلح مشترك؛ فمن المعروف أن هذا المصطلح يتقاسمه في اللغة الإنكليزية لفظان أحدهما هو **Semiology** الذي استخدمه فرديناند دو سوسير في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" والآخر هو **Semiotics** الذي جاء به الفيلسوف وعالم المنطق الأمريكي شارل بيرس. ومن ثمّ فإن هذا الاختلاف سينعكس لا محالة على عملية نقله إلى الثقافة اللسانية العربية، ومهمتنا هنا تنحصر في إجلاء مظاهر هذا الانعكاس.

وبخصوص مدوّنة الدراسة فقد آثرنا أن نحصرها في عدد من المعاجم اللسانية العربية الحديثة المؤلفة من قبل الأفراد والهيئات، وذلك من خلال استخراج مجموعة المقابلات الاصطلاحية لمصطلحي **semiotics** و**semiology**، وكذا تقديم ملاحظات على التعريفات المحدّدة لهما في الثقافة العربية.

ومردّ اختيارنا للمعاجم المتخصصة هو أنَّ واضِعَها يكون على وعي بقضية المصطلح، وما تتطلَّبه من ضرورة في تحقيق التكافؤ بين المصطلح العربي والأجنبي. كما أنّ اختيارنا للمعاجم اللسانية دون غيرها يعود إلى طبيعة العلاقة الملتحمة بين اللسانيات والسيميائية. والجدول التالي يُلخص التقابل المظهري والمفهومي بين مصطلحي **semiotics** و **semiology** وما يقابلهما في العربية..

المعجم	المصطلح الأجنبي	المقابل أو المقابلات العربية
1 ـ المصلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية لـمحمد رشاد الحمزاوي، عربي حوليات الجامعة التونسية، ع 14. 1977	Sémiologie Semiology	السيميولوجيا(علم العلامات): اللغة نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية ـ علم اللغة جزء من علم أعم هو علم العلامات (السيميولوجيا).
2 ـ معجم علم اللغة النظري لعلي الخولي، مكتبة لبنان، 1982.	Semiology Semiotics	← علم الرموز (راجع Semiotics) ← علم يبحث في الرموز اللغوية وغير اللغوية.
3 ـ قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، 1984.	Sémiologie Sémiotique	← علاميّة ← سيميائية
4 ـ معجم اللسانية لبسّام بركة، منشورات جروس برس، 1985.	Sémiologie Sémiotique	← علم الرموز ← علم الرموز، علم العلامات، سيميائية (علم يبحث في الرموز اللغوية وغير اللغوية).
5 ـ المعجم الموحّد للسانيات ط1، مكتب تنسيق التعريب، 1989	Semiology Semiotics	1 ـ علم الأدلة 2 ـ علم السيمياء
6 ـ معجم المصطلحات اللغوية لرمزي منير البعلبكي، 1990	Semiology Semiotics	← علم السيما (سيميولوجيا، سيامة، سيمياء، علامية، علم الإشارات، علم الرموز، علم العلامات) راجع Semiotics ← علم السيما (سيميائية، سيميوتية، علم الرموز، علم العلامات): دراسة خصائص الأنظمة السيمية الطبيعية منها والمصطنعة، من النواحي اللغوية والفلسفية والاجتماعية والنفسية، ولا سيما خصائص النظام السيمي المستخدم للتواصل بين البشر، أي اللغة، ويُقسَّم علم السيما ثلاثة أقسام: هي علم الدلالة، وعلم الرموز التواصلي، وعلم الرموز العلاقي.
7 ـ معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت،	Semiology	← علم الرموز، الرموزية: علم يدرس جميع أنواع الرموز بما فيها الرموز اللغوية.

1995	Semiotics	← علم الرموز: وهو علم يبحث في الرموز اللغوية وغير اللغوية.
8 ـ معجم اللسانيات الحديثة لسامي عيّاد حنّا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، مكتبة لبنان، 1997.	Semiology	← السيمياء/ علم العلامات: يرتبط هذا المصطلح المشتق من اللفظ اليوناني Semeon ـ بمعنى علامة ـ بمفهوم اللغة عند اللغوي السويسري دو سوسير الذي عرّفها بأنّها نظام من العلامات يعبّر عن أفكار المجتمع، وقد اعتبرها بهذا التصوّر ضمن مجموعة أخرى من الأنظمة الاجتماعية التي يدرسها علم العلامات Semiology الذي يرى أنّ اللغة ليست الوحيدة لتحقيق التواصل، لأنّ الإنسان يمتلك أنظمة علامات غير كلامية، مثل نظام الإشارات الجسمية، ونظام الملابس، ونظام الطعام، وغير ذلم من الأنظمة التي تقوم بوظيفة التواصل مثل اللغة، وتخضع مثلها لاتّفاق الجماعة وتواضعها، وتعمل متضافرة تارة ومستقلّة تارة أخرى من خلال السياق الثقافي لكل مجتمع. ونلاحظ أنّ هذه الأنظمة تعمل من خلال حواس التواصل الخمس: السمع، والبصر واللمس والشم والذوق التي تُحدد بدورها نظام العلامات ووظيفته. وإذا كان اللغوي السويسري دو سوسير قد جعل علم اللغة جزءا من علم العلامات فإنّ بعض المهتمين بالدرس السمولوجي مثل الأنثروبولوجي الأمريكي بيرد ويستل Bird Whistell والناقد الفرنسي رولان بارت قد استلهموا المنهج اللغوي في دراساتهم المختلفة، واعتبروا علم العلامات تابعا لعلم اللسانيات، بل جعلوه فرعا منه، لأنّ أنظمة العلامات التي يعرفها المجتمع تُشبه إلى حدّ كبير نظام اللغة، بل هي نفسها لغات وإنْ اختلفت مادّتها. ويجب أنشير هنا إلى مصطلح آخر هو Semiotics، وتستعمله الدراسات اللغوية الأمريكية، ويرجع استعماله إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس C. S .Peirce الذي

		دعا إلى نظرية عامّة في العلامات أطلق عليها هذا المصطلح. ونلاحظ تزامن استعمال المصطلحين لدى سوسير وبيرس في أوربا وأمريكا، إلاّ أننا نجد سوسير يُؤكّد على الوظيفة الاجتماعية للعلامة بينما يؤكّد بيرس على الوظيفة المنطقية.
9 - المعجم الموحد للسانيات، مكتب تنسيق التعريب، ط2، 2002.	Semiology Semiotics	← سيميولوجيا: ـ علم العلامات، وهو مشروع F. De Saussure، تحدّث عن ضرورة إقامة هذا العلم الذي سيكون موضوعه دراسة عامّة للعلامات، بما فيها اللغوية، داخل الحياة الاجتماعية. ← سيميائيات: ـ عند Ch. S. Peirce، دراسة علمية للعلامات تقوم على تصنيف خاص يُميّز بين الأمارة والرمز والأيقونة، ويكمن الاختلاف عن السيميولوجيا في عدم إعطاء الامتياز للغة والمجتمع. ـ علم عام لدراسة الأنظمة السيميائية بما فيها النصوص الأدبية.

1 ـ التقابل المظهري للمصطلحات:

أخذت هذه المداخل من معاجم لسانية تمثّل أغلب ما أُلِّف في ميدان اللسانيات، ومن خلال نظرة أوليّة يتضّح بأنّ هنالك معجمين تمّ الاكتفاء فيهما بإيراد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي دون تعريفها، ويتعلّق الأمر بـ**قاموس اللسانيات** لعبد السلام المسدي، وبالطبعة الأولى من المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات الصادر عن مكتب تنسيق التعريب. فالمسدّي قابل مصطلح **Semiology** بـ**علاميّة**، ومصطلح **Semiotics** بـ**سيميائية**. وهو ما يعني أنّ المسدي اعتمد تسمية عربية لفظا وصيغة، كما أنّه حاول من خلال إيراده لمقابلين عربيين مختلفين أن يُقيم فصلا مفهوميا بين المصطلحين الأجنبيين. ولكنّ غياب التعريف حال دون معرفة الحدود المفهومية لكلّ مصطلح أجنبي. وهذا الحكم ينسحب كذلك على المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات في طبعته الأولى.

وبخصوص المقابلات الأخرى التي ظهرت في المدوّنة، فقد وصل عددها إلى أربعة عشر مقابلا عربيّا لمصطلحي (Semiology و semiotics) وهي مرتّبة كالآتي: "**السيميولوجيا، علم العلامات، علم الرموز، علاميّة، سيميائية، علم الأدلّة، علم السيمياء، علم السيما، سيامة، سيمياء، علم الإشارات، سيميوتية، الرموزية، سيميائيات**".

وإذا كان هذا الحجم يُنبئ عن وجود تدفّق مستمرّ في المصطلحات، ويؤكّد خصوبة العربية في التوليد الاصطلاحي، فإنّه من جهة أخرى يُنم عن وجود فوضى في استعمال المصطلح. وربّما أمكننا تفسير شيء من هذا الاضطراب في الاستعمال وذلك بالنظر إلى الحداثة النسبية لهذا العلم، فالسيميائيات "تُعتبر علما حديثا بالمقارنة مع غيره من العلوم، ولم تظهر ملامحها المنهجية إلاّ مع بداية القرن العشرين[78]". وإذا سلّمنا بأنّ نضج أي علم واكتماله مرهون بمدى تشكيله لمنظومة اصطلاحية ينطلق منها في تبليغ معارفه، ثمّ حاولنا إسقاط هذا الأمر على السيميائيات، وجدنا بأنّ الإشكال الاصطلاحي لا يزال قائما في الثقافة الغربية ـ بدليل تردد المنشغلين بهذا العلم في الاختيار بين Semiologie وsemiotics. ولمّا كان ذلك كذلك؛ فإنّ انعكاس هذا التردد في الاستعمال العربي يبدو أمرا طبيعيا.

وأمام هذا التعدّد الحاصل في الاستعمال العربي، نرى بأنّ هنالك ضرورة تدعو إلى التوحيد، وعملية التوحيد هاته لا يُمكن لها أن تتحقّق ما لم يتمّ الالتزام بمقاييس علمية، وفي هذا السياق تظهر الحاجة ماسّة إلى اعتماد ما جاء في ندوة توحيد المصطلحات المنعقدة بالرباط سنة 1981، وكذا تطبيق منهجية التنميط المعتمدة على مقاييس كميّة وكيفية في اختيار المصطلح[79]. ووفقا لهذه المقاييس فإنّه من الأصوب الاستغناء عن: **علم العلامات، علم الرموز، علم الأدلة، علم السيمياء، علم السيما، وعلم الإشارات** من منطلَق تفضيل اللفظ المفرد على العبارة. كما يُستغنى عن **سيميوتية** و**سيميولوجيا** على اعتبار أنّهما معرّبان. وكذلك الشأن بالنسبة إلى **رموزية** و**سيامة**، فالأوّل ظلّ يجر إثم النسبة إلى الجمع، أمّا الثاني، وإن كانت صيغته عربية، فإنّها تؤدي دلالة الحرفة، ومن ثمّ فلا يليق إطلاقها على العلم.

وبناء على ما سبق يتبقّى لنا أربعة مصطلحات وهي: **علامية، السيمياء، سيميائية، سيميائيات.** وعلى اعتبار تحقيق الرابط العلائقي بين المصطلحات، والمتمثّل هنا في إحالة المصطلحات إلى الجذر اللغوي، فإنّنا

---

[78] محمّد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 24، ع3 يناير ـ مارس، 1996، ص 190.

[79] R. Dubuc: Manuel pratique de la terminologie. Conseil international de la langue française. Paris. P 76 -77.

نفضّل الاستغناء عن مصطلح **علاميّة**. والاحتفاظ بمصطلح: سيمياء أو سيميائية للدلالة على العلم[80]. أمّا سيميائيات فيُحتَفظ بها للدلالة على مفهوم الجمع، فواقع الحال في الفكر الغربي المعاصر يؤكّد بأنّ هنالك سيميائيات متعددة.

وضمن دائرة التقابل المظهري بين المصطلحات يظهر بأنّ عددا من المعاجم قد أورد مقابلين عربيين للمصطلح الأجنبي الواحد على سبيل الترادف، مثلما هو الأمر بالنسبة لمعجم الحمزاوي، وبسام بركة وغيرهما، والحقيقة أنّ هذا الإجراء إذا كان يوفّر للمستخدم حريّة الاختيار، فإنّه في المقابل يعرقل عملية التوحيد، ويؤثّر سلبا على عملية استقرار المصطلح المناسب. حتّى أنّ أحد الباحثين نفى صفة الاصطلاحية عن المقابِلات المترادفة الموضوعة للمفهوم الأجنبي الواحد، "لأن المصطلح يشترط فيه التوحد"[81]. وربّما قد يقبل هذا التعدد بالنسبة إلى معجم الحمزاوي؛ على اعتبار أنّ عمله يمثّل "أوّل محاولة استقرائية للمصطلحات المتداولة بين بعض اللسانيين العرب"[82]، إلاّ أنّه من الصعب تفسير احتفاظ المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات في طبعته الثانية بمرادفين عربيين يُعتمدان كمقابِلَيْن للمصطلح الأجنبي الواحد (Semiology)، فالمعجم الموحّد هو معجم رسمي يسعى إلى الحسم بين المترادفات الاصطلاحية، وإنّ مثل هذا الإجراء ليعدّ مخالِفا تماما لمبدأ التوحيد الاصطلاحي، الذي قامت عليه فكرة إنشاء هذا المعجم.

وخلافا لما سبق اقتصر بعض المعجميين على إيراد مقابل عربي واحد لمصطلحي (Semiology وSemiotics)، كما حدث مع رمزي منير البعلبكي الذي قابلهما بمصطلح **علم السيما**، ومعنى ذلك أنّهم اعتبروا المصطلحين (Semiology وSemiotics) مترادفين، ولعلّ الإحالة إلى أحد المصطلحين بعبارة (راجع Semiotics) مثلا تؤكّد ذلك. وبصرف النظر عمّا إذا كان المصطلحان مترادفين أم لا في الثقافة الغربية[83]، فإنّه في حالة اشتراك دالين في مدلول واحد في اللغة المنقول عنها، يُستحسن وضع مقابل اصطلاحي واحد؛ لأنّ تخصيص كلِّ مصطلح منهما بمقابِل عربي يؤدّي إلى تضخُّمٍ في المصطلحات العربية، وذلك ما يُعيق عمليَّة التوحيد.

2 ـ التقابل المفهومي بين المصطلحات:

---

[80] يتوقّف الاختيار بين هذين المصطلحين بناء على المقارنة بين المصطلحين الأجنبيين، ومدى إحالتهما إلى مفهوم واحد أو مفهومين. وسنتطرّق إلى ذلك فيما يأتي.

[81] رمزي منير البعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية (إنكليزي/عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص 11.

[82] عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، 1984، ص80.

[83] بما أنّ البحث حول مدى تحقيق المصطلحين الأجنبيين للترادف يستدعي دراسة تتعلّق بالمفهوم؛ فإنّنا سنؤخّر ذلك أثناء الحديث عن التقابل المفهومي بين المصطلحات.

لكي نتمكن من توضيح مظاهر التقابل المفهومي لمصطلحات العلم في الثقافتين الغربية والعربية من خلال المعاجم اللسانية فإنّنا سنصب الاهتمام على التعريفات العربية الموضوعة لمصطلحي (Semiology وSemiotics).

من خلال الجدول السابق، يتّضح أنّ التعريفات الموضوعة للمصطلحين تختلف باختلاف المعجم، فبعض المعاجم يورد تعريفا موجزا يتّم التركيز فيه على تبيان الخصائص العامّة للمصطلحين، أمّا البعض الآخر فيحاول استيعاب أغلب السمات المفهومية.

وتتمثّل التعريفات الموجزة في عبارة "هو علم يبحث في الرموز اللغوية وغير اللغوية" التي تكرّرت في أربعة مواضع. وميزة هذا التعريف هو أنّه تعريف عامّ لا يستجيب لعدد من الأسئلة التي يُشرع طرحها في هذا المجال، كتلك التي تتّصل بآلية دراسة الرموز، وما هو الغرض من دراستها، وما موقع الرمز اللغوي من الرموز الأخرى، ماذا يُمكن أن يُغطي مفهوم الرمز غير اللغوي، وما هي الأسس النظرية التي تستند إليها هذه الدراسة، وغير ذلك من الأسئلة التي ترتبط ارتباطا مباشرا بهذا النوع من الدراسة. وطرح مثل هذه الأسئلة في هذا السياق أمر مهمّ؛ لأنّ الاختلاف في اعتماد هذا المصطلح أو ذاك لدى المتخصصين في هذا الميدان ناجم عن الاختلاف في تقديم إجابات عن هذه الأسئلة.

ولعلّ الاكتفاء بهذا التعريف يمكن إرجاعه إلى أسباب تتعلّق بطبيعة العلم في حدّ ذاته، أو بطبيعة المعجم المتخصص. فكما سلف الذكر فالسيميائية علم حديث نسبيا، ومفاهيمه لم تتأصّل بعد، وربّما يلجأ المعجميون أمام هذا الوضع إلى تفادي الاختلافات المفهومية بين المنظّرين، والاقتصار فقط على الخصائص التعريفية الثابتة والمشتركة بينهم. كما يمكن إرجاع السبب إلى طبيعة المعجم المتخصص، فالعبارة السابقة وردت ضمن معجم لساني، ومن خصائص هذه المعاجم أنّ تعريفات المصطلحات فيها تتنوّع وتختلف تبعا للهدف المتوخى تحقيقه من المعجم، فالاقتصار على تبليغ المعارف الأساسية ينتج عنه اكتفاء بتعريفات عامّة.

ويختلف تعريف محمّد رشاد الحمزاوي عن التعريفات السابقة من حيث إنّه أشار إلى المفهوم السوسيري للسيميائية، وذلك بتحديده لموقع علم اللغة [اللسانيات] منها[84]. ولكنّ هذا التعريف يركّز على اللغة وعلم اللغة أكثر من تركيزه على السيميائية، وقد نجد لذلك مبررا لدى المرجعية نفسها، فسوسير ذاته حين تحدّث عن نشأة السيميائية ربطها باللسانيات، وفضلا عن ذلك فباعتبار أنّ معجم الحمزاوي هو معجم لساني فإنه من

[84] يوضّح سوسير علاقة اللسانيات بالسيميائية قائلا: "يُمكننا أن نتصوّر علما يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يُشكّل فرعا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نُسمي هذا العلم بالسيميائية من(Semeion) الإغريقية، وتعني "الدليل"، ومن شأن هذا العلم أن يُطلعنا على كنه هذه الدلائل وعلى القوانين التي تحكمها. ولأنّ هذا العلم لم يوجَد بعد، فإنّه لا يُمكننا التكهّن بمستقبله، إلاّ أنّ له الحق في الوجود، وموقعه محدَّد سلفا. إنّ اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام، والقوانين التي ستكتشفها السيميائية ستكون قابلة لأن تُطبّق على اللسانيات.

الطبيعي أن يُدرج اللغة ضمن هذا التعريف. وبالنظر إلى علاقة اللسانيات بالسيميائية في تعريف الحمزاوي نلاحظ أنّها لم تتجاوز حدود علاقة الجزء بالكل، أو الخاص بالعام.

أمّا تعريف رمزي منير البعلبكي فهو يُثير عدّة إشكالات تتعلّق بموضوع السيميائية. من ذلك أنه أشار إلى أنّ ميدان السيميائية لا ينحصر في دراسة العلامات المصطنعة، بل يتجاوز ذلك ليُضمّ إلى مباحثه العلامات الطبيعية أيضا، وإشارته هاته تؤكّد تبنّيه للطرح البيرسي في النظر إلى العلامة [الدليل]، فالعلامة عند بيرس "كما تكون لغوية تكون غير لغوية، وهي من حيث طبيعتها ووظيفتها أشكال ثلاثة: الأيقون والإشارة والرمز"[85]. وإذا كان مفهوم العلامة البيرسي متّسعا، لأنّه يشمل كلّ أنواع العلامات فيتناولها جميعا بالتحليل [فإنّ] مفهوم العلامة السوسيري ضيّق؛ لأنّه يجعل علاقة الدال بالمدلول اعتباطية[86]، ويستثني من بينها ما كان رمزا أو إشارة"[87].

ومن مظاهر الاختلاف حول طبيعة الدليل بروز إشكالية تتّصل بضرورة توفّر القصدية في الدليل أم لا ـ وضمن هذا السياق "يتساءل جان ماري شايفر (J. M. Schaeffer) قائلا "فهل نعتبر شيئا ما دليلا عندما ينتج عن قصد في التواصل، أم أنّه حتى الأدلّة الطبيعية تندرج ضمن هذا التحديد؟[88]". ولقد ترتّب عن هذا ظهور ما اصطلح عليه بسيميائية الدلالة، وسيميائية التواصل[89]. والحقيقة أنّ ما ذكره البعلبكي في سياق تصنيفه لأقسام السيميائية (يُنظر التعريف)، ينمّ عن وعيه بالقضية، كما أنّه من خلال إدراجه البعلبكي للأدلّة الطبيعية والمصطنعة ضمن مباحث السيميائية يكون قد تبنّى طرح أنصار سيميائية الدلالة.

ومن خلال هاته الإشارة يمكننا القول بأنّ مفهوم السيميائية عند البعلبكي لم يقف عند حدود التعريف العام الذي عرفته كثير من المعاجم التي سبقته، بل تجاوز ذلك إلى عرض بعض القضايا الجوهرية في ميدان السيميائية.

---

[85] محمّد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987، ص57.

[86] بخصوص مسألة الاعتباطية فإنّ "الدلائل [الأدلة] السيميولوجية متفاوتة الاعتباطية ... وإذا كان على السيميولوجيا أن تدرس هذا النوع من الدلائل، فإنّ موضوعها الرئيسي ـ عند سوسير ـ لن يكون سوى مجموع الأنساق القائمة على اعتباطية الدليل؛ لأنّ الدلائل التامّة الاعتباطية تحقّق نموذج الطريقة السيميولوجية أفضل من الدلائل الأخرى". (يُنظر: حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987، ص71).

[87] محمّد السرغيني: المرجع السابق، ص57.

[88] O. Ducrot. J. M. Schaeffer: Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Paris. 1995. p. 254.

[89] اعتبر الباحثان بويسنس (Buyssens) وساجر (Seger) أنّ "تحديد الدليل مرتبط بوجود القصدية في الدلالة، رافضيْنِ بذلك أنْ تُؤخَذَ الأمارات الطبيعية (Indices) في الحسبان" يُظر: (O. Ducrot. J. M. Schaeffer: Nouveau dictionnaire ...p.254) وبناء على ذلك فهما يمثّلان سيميائية التواصل، ويُقصَد بالتواصل عند أصحاب هذا الاتجاه "الفعل الذي عن طريقه يقوم شخص ما مدركا لواقعة قابلة للملاحظة ومرتبطة بحالة وعي، بتحقيق هذه الواقعة، لكي يفهم شخص آخر الهدف من هذا السلوك، ويُعيد في وعيه تشكيل ما حصل وعي الشخص الأوّل" وعلى هذا الاعتبار "لا يُمكن أبدا أن يكون هنالك مسار سيميولوجي بدون علم أحد الطرفين، الباث والمتلقي". وخلافا لهؤلاء، يرى بعض السيميائيين كغريماس وإيكو بأنّه لا ضرورة تفرض حدوث اتفاق بين الباث والمتلقي لحدوث عملية التواصل "بل يُمكن التأثير على الغير دون إرادة ذلك". ويُنعت هذا الاتجاه بسيميائية الدلالة. (يُنظر: مدخل إلى السيميولوجيا (نص ـ صورة)، مجموعة من المؤلّفين، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 15 ـ16).

أمّا معجم اللسانيات الحديثة لـ**سامي عيّاد حنّا، كريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس** فقد أورد فيه المؤلّفون تعريفا مطوّلا لمفهوم (**Semiology**). ومما تعرضوا إليه قضية علاقة السيميائية باللسانيات. ومما يُلاحظ على هذا التعريف أنّه تفرّد ـ قياسا إلى التعريفات السابقة ـ بعرضه لنظرة رولان بارت إلى هذه العلاقة، وهي نظرة مخالفة تماما لما أقرّ به سوسير. فبارت يرى بأنّ "كلّ نظام سيميائي يمتزج حتما باللغة، ومن ثمّ فالسيميائية فرع من اللسانيات وليس العكس"[90]، ويمكن تفسير عملية الامتزاج بتوسّط الدليل اللساني في فهم الأدلة غير اللسانية الأخرى[91].

وإذا كان هذا التعريف قد أغفل بعض الآراء الهامّة حول علاقة اللسانيات بالسيميائية، خاصّة رأي اللساني الدانماركي **لويس يالمسليف** الذي يرى بأنّ "السيميائية واللسانيات مترادفان، وأنّ صفة "سيميائي" و"لساني" يمكن لأحدهما أن يحل محلّ الآخر عمليا"[92]. وكذا رأي **جاك دريدا** الذي قلب مقولة بارت نفسها. فإنّ الإشارة إلى هذه القضية تعدّ كافية في معجم الغرض منه هو إبلاغ المعارف الأساسية في اللسانيات الحديثة.

تعرّض هؤلاء المعجميون أيضا إلى علاقة الـ (Semiology) بالـ (Semiotics)، وميّزوا بينهما بناء على نظرة كل من سوسير وبيرس، فسوسير "يؤكّد على الوظيفة الاجتماعية للعلامة بينما يؤكّد بيرس على الوظيفة المنطقية[93]" (يُنظر التعريف). وهذه الإشارة هي كذلك دليل على وعي المعجميين بأهمّ القضايا التي تشكّل موضع اختلاف في الفكر السيميائي المعاصر.

آخر هذه المعاجم هو المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات في طبعته الثانية، وما أضافه هذا المعجم قياسا إلى المعاجم السابقة هو تعرّضه للتمييز الذي أقامه بيرس بين الأمّارة والرمز والأيقونة، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الدليل لا تشترَط فيه صفة الاعتباطية أو القصدية. وقد فرّق بين (Semiology) و (Semiotics) من حيث أنّ الأولى تعطي الامتياز للغة والمجتمع، أمّا الثانية فـ"تُركّز على الأدلّة بصفة عامّة"[94]. وينفرد هذا

---

[90] J. Dubois (et autres): Dictionnaire de linguistique. Paris. P. 426.

[91] لا يُمكن حسب بارت "الانفتاح على الأنظمة السيميولوجية الأخرى، كالطعام، واللباس، ودراسة خصائصها إلاّ عبر الدليل اللساني الذي يُقسّم دوالها ويُعيّن مدلولاتها، ومن ثمّ يبدو لنا، في النهاية، أنّ تخيّل نظام من الصور أو الأشياء التي تستطيع مدلولاتها أن تتواجد خارج اللغة، أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر"، ولكنّ الأمر تجاوز حدود الاستعانة باللسانيات إلى الدرجة التي "أصبحت فيها المعرفة السيميولوجية نُسخة من المعرفة اللسانية". وقد نفهم بناء على ما سبق تخوّف تودوروف من انصهار السيميائية في اللسانيات، حيث إنّ هاته العلاقة "تثير عنده شكوكا حول استقلالية السيميائيات". أمّا كريماس، وعلى خلاف تودوروف فإنّه يعتبر أنّ اعتماد السيميائيات على اللسانيات "ضرورة تاريخية تشرط الإنتاج العلمي في مجال السيميائيات" (يُنظر: محمّد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، ص 193 – 194).

[92] G. Mounin: Introduction à la sémiologie. Éditions de minuit, Paris, 1970, p.96.

[93] اقترح بيرس كلمة (Semiotics) باعتبارها مرادفة لكلمة منطق، وعلى هذا الأساس فإنّ عملية التفكير عنده تتمّ بواسطة الأدلّة". يُنظر: (Kibédi Varga: la théorie de la littérature, p.240).

[94] Kibédi Varga: op. cit. p.240

التعريف عن سابقيه من حيث أنّه لمّح إلى المجالات التطبيقية للسيميائية، من خلال التمثيل على ذلك بالنصوص الأدبية، غير أنّ مفهوم الأنظمة السيميائية هو مفهوم فضفاض يحتاج إلى تحديد، فالميادين التي تشتغل عليها السيميائية كثيرة وتختلف بحسب فهم الباحثين لمفهوم الدليل. فأمّا رولان بارت فقد "لاحظ غموض مصطلح الدليل، نظرا لأنّه لا يقتصر على حقل واحد بل يمتدّ من اللغة إلى اللاهوت إلى الطب والسيبرنطيقا"[95]. أمّ إمبرتو إيكو (Eco) فقد مثّل لمجالات السيميائية بما يلي: "علامات الحيوانات، علامات الشمّ، الاتّصال بواسطة اللمس، كودة المذاق، الاتّصال البصري، أنماط الأصوات والتنغيم، التشخيص الطبي، حركات وأوضاع الجسد، اللغات الصورية، اللغات المكتوبة، الأبجديات المجهولة، قواعد الآداب، أنماط الأزياء، الأيديولوجيات، الموضوعات الجمالية والبلاغية"[96]. وربّما قد يكون استئثار المعجم بذكر النصوص الأدبية ناتجا عن طبيعة النظام الذي يُشكّل نموذجا أمثل للسيميائية، حيث إن "أنساق اللغات الطبيعية والرمزية هي أكمل الأنساق السيميائية وأكثرها تطوّرا"[97].

خلاصة:

ما نخلص إليه بعد هذا العرض هو أنّ اللسانيين العرب ـ من خلال معاجمهم ـ قد اختلفوا في تعاملهم مع مصطلحي (Semiology) و (Semiotics)، فمنهم من ميّز بينهما من منطلق الاختلاف في المرجعية النظرية بين سوسير وبيرس، ومنهم من عدّهما مترادفين، ولعلّ هذا الاختلاف في المواقف ما هو إلاّ انعكاس للاختلاف الحاصل في الثقافة الغربية حول المصطلح. على أنّ ما ينبغي التنبيه إليه هو أنّ التفرقة بين المصطلحين "لم تعد قائمة، بعد أن قرّر المؤتمر العالمي بتبنيّ مصطلح (Semiotics)"[98]. وبخصوص الجانب المفهومي، فإنّ المعاجم اللسانية العربية المؤلّفة في فترة زمانية متقدّمة اكتفت في الغالب بإيراد تعريفات عامّة للمصطلحين، إلاّ أنّه مع مرور الزمن اتّجهت التعريفات نحو الإلمام بأغلب خصائصها المفهومية، كما أشارت إلى مختلف القضايا المتداولة ضمن هذا الميدان.

قائمة المراجع:

محمّد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 24، ع3 يناير ـ مارس، 1996.

محمّد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987.

---

[95] محمّد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، ص 192.

[96] عادل فاخوري: حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء). مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 24، ع3، يناير ـ مارس، 1996، ص185.

[97] نفسه، ص 186.

[98] محمّد إقبال عروي: المرجع السابق، ص 187.

حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987.

مدخل إلى السيميولوجيا (نص ـ صورة)، مجموعة من المؤلّفين، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

عادل فاخوري: حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء). مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 24، ع3، يناير ـ مارس، 1996.

1ـ المصلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية لمحمد رشاد الحمزاوي، عربي حوليات الجامعة التونسية، ع 14. 1977

2 ـ معجم علم اللغة النظري لعلي الخولي، مكتبة لبنان، 1982.

3 ـ قاموس اللسانيات لعبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، 1984.

4 ـ معجم اللسانية لبسّام بركة، منشورات جروس برس، 1985.

5 ـ المعجم الموحّد للسانيات ط1، مكتب تنسيق التعريب، 1989

6 ـ معجم المصطلحات اللغوية لرمزي منير البعلبكي، 1990

7 ـ معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995

8 ـ معجم اللسانيات الحديثة لسامي عيّاد حنّا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، مكتبة لبنان، 1997.

9 - المعجم الموحد للسانيات، مكتب تنسيق التعريب، ط2، 2002.

J. Dubois (et autres): Dictionnaire de linguistique. Paris.2002.

O. Ducrot. J. M. Schaeffer: Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Paris. 1995.

R. Dubuc: Manuel pratique de la terminologie. Conseil international de la langue française. Paris.

K. Varga: la théorie de la littérature.

G. Mounin: Introduction à la sémiologie. Éditions de minuit, Paris, 1970.

F. De Saussure: cours de linguistique générale.